

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا
شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

عودة إخوة سيدنا يوسف إلى أبيهم وبقاء بنيامين في مصر

(012) سورة يوسف

الدرس الثالث عشر: شرح الآيات 81 - 87

2021-09-04

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُصَلِّيُّ وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا وَعَمَلًا مُتَقَبَلًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إغفال القرآن الكريم التفاصيل في القصص القرآنية:

وبعد: مع اللقاء الثالث عشر من لقاءات سورة يوسف، ومع الآية الواحدة والثمانين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81)

[سورة يوسف]



القرآن الكريم يغفل في القصة كثيراً من التفاصيل

الآن هذا الرجل الأكبر في إخوته، كبيرهم، ويقال إن اسمه شمعون كما في التاريخ والله أعلم، وقلت سابقاً: إن القرآن الكريم يغفل ذكر الأسماء، أصحاب الكهف ما أسماؤهم؟ لا نعلم، ما أعدادهم؟ لا نعلم، إخوة يوسف ما أسماؤهم؟ لا نعلم، القرآن الكريم يغفل في القصة كثيراً من التفاصيل، ولا يبرز من التفاصيل إلا ما يخدم القصة، إغفاله للتفاصيل؛ تفاصيل الأسماء، والأمكنة المحددة، والأزمنة المحددة لسببين، السبب الأول في القصص القرآني حتى لا يبتذل الإنسان بالتفاصيل ويترك العبرة، وفي القصص غير القرآني يغرق بالتفاصيل، تقرأ رواية من أربعمئة أو خمسمئة صفحة الحدث كله بأخذ عشر صفحات، يغرق بالتفاصيل وبالوصف لأن غاية الإمتاع الأدبي، وغايته أن يسليك، تأخذ وقتاً في القراءة، القصص القرآني عنصر الإمتاع موجود، الإنسان فينا يقرأ سورة يوسف يستمتع بهذه القصة ويتغذى بها، لكن ليس الهدف الرئيس من القصص القرآني تحقيق الإمتاع، وإنما تحقيق الهدى، وتحقيق الدلالة والهداية إلى الله، وتحقيق العبرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ (111)

[سورة يوسف]

فالقصة من أجل العبرة لا من أجل الإمتاع، فإذا كثرت التفاصيل خرجت القصة عن الهدف الذي جاءت به، وانشغل الناس بالتفاصيل، هذا السبب الأول.



أراد الله للقصة أن تكون قانوناً إلى يوم القيامة

السبب الثاني في أن القرآن الكريم يغفل التفاصيل في القصة أن الناس عندما يقرؤون القصة بتفاصيلها يخيل إليهم بعقلهم الباطن من غير أن يشعروا أن هذه القصة وقعت وانتهت ولن تعود، وكأنها تعني أفرادها فقط، أي ربنا يتكلم عن هؤلاء الناس ولا يتكلم عنا نحن، فالقصة لا تستمر كقانون إلى يوم القيامة، لكن الله عز وجل أرادها أن تكون قانوناً إلى يوم القيامة، أي بكل عصر وبكل مصر يمكن أن يقع إنسان في امتحان السجن، ويمكن أن يقع آخر بامتحان الحب، ويمكن أن يقع ثالث في كيد الأخوة، ويمكن أن يقع رابع في مكر امرأة العزيز، أو امرأة قوية تدعوه للمعصية.

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: سَبَّعَةَ يَطْلُهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ

العدلُ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه مُعلَّقٌ بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعودَ إليه، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا على ذلك

وتفرَّقا عليه، ورجل دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمالٍ، فقال: **إني أخافُ الله** - رب العالمين - ورجل تصدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم

شماله ما تُنْفِقُ يمينه، ورجل دَكَرَ الله خاليا ففاضت عيناه {

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك]

بكل مكان وزمان يمكن أن يتعرض مجموعة من الناس يعبدون الله للضغوط وللأذى، ويفرون كما فعل أصحاب الكهف، فلو ذكرت أسماؤهم لتوهمنا من حيث لا نشعر أن القصة خاصة بمن حصلت معهم، لكن القرآن الكريم أراد أن تبقى قانوناً إلى يوم القيامة، عندما قال ربنا عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ
(87)

[سورة الأنبياء]

يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاسَتْ جُنُبًا لَهْ وَجَنَابًا مِنْ الْعَمِّ (88)

[سورة الأنبياء]

انتهت القصة، قال: (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) إلى يوم القيامة، القصة قانون وليست أفراداً وأحداثاً وأزمنة وقعت وانتهت.

الله تعالى هو خالق الخير وخالق الشر تقديراً:

هنا هذا الرجل كبيرهم قال: (اِزْجُوا إِلَى أَبِيكُمْ) هو نوى ألا يرجع إلى أبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَهْتَلُوا أَنْ أَتَاكُمْ فِدْ أَحَدٌ عَلَيْكُمْ مَوْتَعًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80)

[سورة يوسف]



الإنسان ينسب الشيء إلى ذاته

الأرض هنا مصر، سبقي في مصر، يعقوب كان في أرض كنعان قال: (اِزْجُوا إِلَى أَبِيكُمْ) يعقوب (يا أبنائي إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) حقيقة، هذا الذي حصل معنا (إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) طبعاً الآن (إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) ما قالوا إن أخانا سرق، لأن الإنسان من طبيعته من غير أن يشعر عندما يريد أن يحضل شيئاً لذاته من خير، أو من منفعة، أو من مصلحة، ينسب الشيء إلى ذاته، وعندما يكون هناك شر ينسبه إلى غيره، حتى الناس للأسف يفعلون ذلك مع الله عز وجل، يفعلون ذلك مع الله، مع البشر عندما أرادوا في بداية القصة أن يأخذوا آحاهم ليوقعوا به، ما أرادوا أن يوقعوه قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ آبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتُلُ وَإِنَّا لَهُ لَخَافِطُونَ (63)

[سورة يوسف]

فلما توهموا أنه وقع في السرقة، ما قالوا إن أخانا سرق، قالوا: **(إِنَّ ابْنَك سَرَقَ)** صار ابنه، بعد أن كان يوسف أخاهم، أخوهم يوسف أرادوا أخذه، وتحقيق مصلحة لهم بإبعاده عن أبيه، فالإنسان من غير أن يشعر ينسب الخير لنفسه، وينسب الشر للناس، فإذا نجحت تجارته يقول لك: هذا جهدي، وعرق جبين، وكله بكدي، وما لأحد فضل عليّ، لكن يوم يخسر في تجارته يقول لك: أنا كنت أحسن تاجر لكن الظروف كانت صعبة، وكورونا لم تدع لأحد شيئاً، ويأتي بكل الأعداء والمبررات التي تبرئ ساحته، هذه طبيعته، لكن الإنسان لا ينبغي أن يكون ذلك، المؤمن موضوعي، المؤمن ينسب من الخير ومن الشر لنفسه وينسب للآخرين من الخير ومن الشر بالمقدار الصحيح، فيقول لك: أنا أخطأت في كذا، وأصبحت في كذا، الناس كيف يفعلون ذلك مع الله عز وجل؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَبَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ فُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)

[سورة النساء]

أي عندما تصيبهم السيئة: **(تَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)** فماذا رد عليهم الله؟ **(فُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** لماذا تنسبون السيئة لله وتنسبون الحسنة لأنفسكم؟ ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

[سورة النساء]

كيف تستوي الآيتان؟ في الآية الأولى: **(فُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** الحسنة والسيئة، ثم قال فيما بعد: **(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)** لأن السيئة في الأصل سببها الإنسان ثم تقع تقديراً من الله، أما الحسنة فمن الله عز وجل بالسبب والنتيجة، مثلاً أصاب الإنسان سيئة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَتَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)

[سورة المائدة]



السيئة تبدأ من نفسك عندما تخالف منهج الله تعالى، ثم تأتي عقوبة من الله والتقدير من الله **(فُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** تقديراً، لأنه لا يقع شيء في الكون إلا بتقدير الله، لكن سبب السيئة من نفسك أنت، من خطأ ارتكبه.

مثلاً سيارة، مصنعة بأحدث تصنيع، وأحدث ماركة، وفيها كل متطلبات السلامة، وإنسان قادها بسرعة جنونية في طريق متعرج، فسقطت في الوادي، فتحطمت وأصبحت كتلة حديد، فجاء شخص جاهل وقال: ما أسوأ هذه الشركة التي صنعت السيارة، فنقول له: هذه السيئة ليست من الشركة، هذه من السرعة الجنونية التي فدت فيها السيارة.

(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَبٍ فَمِنَّ لَيْلِهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيْئَةٍ فَمِن تَعْسِفِكَ) أي على الإنسان دائماً أن ينسب السوء إلى ذاته، وينسب الإحسان إلى الله، لذلك عندما قال تعالى على لسان الجن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرُّ أَرِيدَ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)

[سورة الجن]

ما قالوا: وأنا لا ندري أشر أرادته الله بمن في الأرض، مع أن الله أرادته، لكن قالوا (أريد) حتى لا ينسبوا الشر إلى الله، لذلك في الدعاء النبوي: " والشر ليس إليك " أي لا ننسبه إلى الله، لكنه يقع بقدر من الله، فالله هو خالق الخير وخالق الشر تقديراً فيقع ابتداءً من الإنسان.

تأكيد أخوة يوسف دعواهم بمؤكدين لعل والدهم يصدقهم:

هنا: (إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) نسبوا السرقة إلى ابنه وليس إلى أخيه (وَمَا سَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) الشهود أن تشهد، أن تشهد، أن ترى بعينك، وقالوا: لا تشهد إلا بما رأيت، أي الإنسان لا ينبغي أن يشهد إلا بما رأى، وهذا معنى قولنا في الصلاة وخارج الصلاة: أشهد أن لا إله إلا الله، وكأنك تشهد لله، وكأنك ترى وحدانيته رأي العين.

لأن أبا العتاهية قال: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.



الشهيد شهد شيئاً مختلفاً عن الناس

فأنت حينما تقول: لا تقل: أسمع أنه لا إله إلا الله، ولا تقل: أقول لا إله إلا الله، بل قل: أشهد أن لا إله إلا الله، تشهد له وفق ما رأيت من خلقه، فكل شيء يشهد له بالوحدانية كأنك ترى وحدانيته بعينك، ولما سئل أحد الشهداء الذين مرت ذكرى وفاتهم قبل أيام لما أعدم سألته القاضي: ما معنى شهيد؟ قال: الذي يشهد أنه لا ينفعه ولا يضره إلا الله، فانطلق واستشهد في سبيل الله فالشاهد شهد شيئاً مختلفاً عن الناس.

(وَمَا سَهَدْنَا إِلَّا بِمَا) الشيء الذي حدث، لا ندري ما وراء ذلك، الآن كلام أخيه منطقي إلى حد كبير (وَمَا سَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) لا يتهمة بالسرقة (وَمَا سَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) يوجد عندنا شهود، وعندنا غيب، شهادة وغيب، والله تعالى عالم الغيب والشهادة هنا (وَمَا سَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) هذا الشهود، (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) هذا للغيب الذي غاب عن أنظارنا، معنى الغيب أي غاب عنك، الشهود شهدته بحواسك، لكن أحياناً يصح الغيب في مرتبة الشهود، عندما يكون الغيب خيراً صادقاً من الله تعالى، لذلك تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، لأن الشهادة مع أن لا إله إلا الله غيب في معانيه، لكن كل شيء يشهد له فأصبح أهم من الشهادة بالحواس، فهنا لما قال: (وَمَا سَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) هذا حواس، نحن كنا في البلد، ورأينا بأعيننا الصواع يستخرج من رحل أخينا، والناس كلهم قالوا: بنيامين سرق، سمعنا ورأينا بعيننا، أما الغيب فهل هناك أحد دس له الصواع في رحله؟ هل هناك خطأ هو أخذ الصواع ظنه له مع أغراضه لم ينتبه أي هو ما قصد السرقة؟ لا نعلم، هذا غيب، هذا يعلمه الله.

قال: (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) أخوهم عاقل ويتكلم بمنطق (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) لا نحفظ الغيب، ولا نعلم عنه شيئاً إلا في الحدود التي وصلتنا وهي عالم الشهادة فقط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82)

[سورة يوسف]



الصادق لا يستدعي أدلة

الإنسان عندما يتكلم ويخشى أن يكون كاذباً، أو يتكلم كذباً، يحاول مباشرة أن يستدعي الأدلة لصدق كلامه، الصادق لا يستدعي أدلة، يقول لك: حصل كذا، إذا قلت له: أين الدليل؟ يعتبر هذا إهانة له، يقول لك: أنت ابحت عن الدليل وجدك، لا تطالبي بالدليل، أنا شخص صادق، أقول لك: حدث ذلك وانتهى، لا يستجمع أدلة لأنه صادق، أما الذي كذب سابقاً الآن ولو صدق، هم الآن صادقون، لكن يعلمون أن والدهم لن يصدقهم فيمجرد أن يقولوا له: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)** أي هات شهوداً **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)** هل القرية تسأل؟ القرية في القرآن الكريم هي المدينة الكبيرة، نحن بمفهومنا اليوم عدد السكان إن كانوا عشرين ألف يسمونهم قرية، إذا كانوا أكثر فهي مدينة، يوجد قرية، وناحية، ومدينة حسب التقسيمات الإدارية، بالقرآن الكريم ربنا عز وجل يستخدم القرية، ويستخدم المدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)

[سورة يس]

لكن القرية دائماً تستخدمها القرآن لتجمع بشري كبير فيه أخلط من الناس، يستخدم القرآن القرية، استخدام القرآن للقرية غير استخدامنا البشري.
(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) مع أن مصر كانت ربما أكبر وأصخم، أكبر من كنعان، لكن سماها قرية، لكن هل القرية تُسأل؟ يذهب إلى القرية يسأل الجدران والبيوت أم من سيسأل؟ أهل القرية، هذا يسمى في اللغة العربية مجازاً، مجاز مرسل علاقته المحل.

(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) القرية لا تسأل لكن أهل القرية يسألون، لماذا قال: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** ما قال: واسأل أهل القرية؟ كل حدث يحدث في الكون يحتاج إلى فاعل يقوم به، وإلى مفعول به يقع عليه الفعل، يحتاج إلى فاعل يفعله، ومفعول به يقع عليه الفعل، وزمان يقع فيه الفعل، ومكان يقع فيه الفعل، وسبب يؤدي إلى وقوع الفعل، وقوة تنهض بهذا الفعل، ستة أشياء، أي حدث يتم، إذا أكل شخص، أكل، هذا حدث، يحتاج إلى فاعل الذي قام بفعل الأكل، وإلى مفعول به الذي هو الطعام، ويحتاج إلى مكان، صار بالبيت أو بالمطعم، ويحتاج إلى زمان، صباحاً، ظهراً، مساءً، في الأول من أيلول، أو في العاشر من أيلول، ويحتاج إلى سبب، لو لم يكن جائعاً لما أكل، ويحتاج إلى قوة تنهض بالفعل التي هي اليد، وإلى مطابقة، وعين، وهضم، لتنهض بالفعل، هذا ينطبق على أي حدث يحدث في الكون، وكل هذه الأمور تجري بالحدث، والزمان، والمكان، ومخلوقات الله، وتجري بقدرة الله جل جلاله، لكن عندما يكون أهم شيء بالحدث هو المكان تسأل المكان، وعندما يكون أهم شيء بالحدث الزمان توجه السؤال للزمان، يكون أهم شيء بالحدث هو الفاعل توجه إلى الفاعل، هنا أهم شيء بالحدث هو مسرح الجريمة - إن صح التعبير - الذي وقعت فيه، صار هناك أناس، وانتبهوا لوقوع الأمر، وأذن مؤذن بينهم، فوجهنا الخطاب للقرية التي هي مكان الحدث، وليس إلى الفاعل الحدث، أو المفعول به، أو الشاهد على الحدث وجهنا السؤال.

أيضاً: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** كأن الخبر انتشر وطار حتى صارت جدران القرية تعرفه، عندما انتشر الخبر وذاع في القرية بأن بنيامين سرق، لأنه صار على رؤوس الأشهاد جعلهم يحملون بضاعتهم، ويمضون بعدما مضوا أذن مؤذن بينهم، اجتمع الناس، فكان الخبر قد عمّ وانتشر حتى أصبحت القرية بجدرانها وبيوتها تعرفه **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ)** أيضاً **(وَالْعَيْرَ)** العير لا تسأل، ما العير؟ الجمال، النوق، البغال، الحمير، هي واسطة النقل، أيضاً وجه السؤال لواسطة النقل، لأن الحدث جرى في الرجل التي كانت على تلك العير والبعير، انظر إلى البلاغة القرآنية، فقال: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْلَمْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)** إن حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد، اللام لام التوكيد **(لِصَادِقُونَ)** فأكدوا بمؤكدين أنهم صادقون فيما يقولون، لأنهم عهد منهم الكذب فأصبحوا بحاجة إلى كل تلك المؤكدات لعل والدهم يصدقهم في دعواهم.

صبر يعقوب على مصابه بلا شكوى لأنه نبي وهو قدوة للبشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)

[سورة يوسف]

يعقوب عليه السلام، والدهم قال: **(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ)** بل حرف إضراب يلغي ما قبله، أي كل ما سمعته منكم لن أصدق (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ)، الآن يعقوب بشرته لن يصدقهم، هنا لا يوجد وحى، لأن الأمر حصل، بالنتيجة الأنبياء بشر، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

{ إنما أنا بشر أَرْضَى كما يَرْضَى البشر، وأَعْصِبُ كما يعصِبُ البشر }

[أخرجه مسلم]



جعل الله الأنبياء بشراً ليكونوا قدوة لكل البشر

والأنبياء جعلهم الله بشراً من أجل أن يكونوا قدوة لكل البشر، لو جعلهم الله ملائكة لما كانوا قدوة لنا، لقال قائل منا: كيف نقتدي بهم؟ هم ملائكة ليس عندهم شهوات ونحن عندنا شهوات، ورغم أنه جعلهم بشراً، بعض الناس اليوم يقول لك: يا أخي أنا لست نبياً، ومن قال لك إنك نبي؟ لكن أنت مأمور بأوامر الشرع كما أمر الأنبياء، أنت مأمور بالصدق والأمانة، أنت لست نبياً ولن تكون نبياً، لكن أنت مؤمن، والمؤمن يقتدي بالأنبياء، فلم يجعلهم الله ملائكة وإنما جعلهم بشراً، هنا ببشرته قال: **(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً)** هم لم تسول لهم أنفسهم، الآن بهذا الحدث لم تسول لهم أنفسهم، قبل ذلك لما جاؤوا على قميص يوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

[سورة يوسف]

قال الكلام نفسه **(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً)** لكن الآن ببشرته لأنه عهد منهم الكذب قال: **(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً)** أي يسرت لكم الوصول إليه، مع أن هذا الأمر لا ترتضيه الفطر السليمة، هذا **(سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً)** أي يسرت أنفسكم قبول أمر لم يقبله صاحب الفطرة السليمة. **(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)** وكان يعقوب ما زال ينتظر ابتلاءات أخرى من الله، فيصبر، ليس لي إلا الصبر، وقال: **(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)** وقلت لكم سابقاً إن القرآن الكريم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَهْجُرُهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (10)

[سورة المزمل]

في القرآن وردت كلمة جميل ثلاث مرات، صبر جميل، وصفح جميل، وهجر جميل، الصبر الجميل؛ هو الصبر الذي يكون بغير شكوى، والدليل بعد قليل، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْيِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)

[سورة يوسف]

أما الذي يقول لك: أنا صابر، وكلما جاءه وفد من الناس يحدثهم عن القصة من الألف إلى الياء، هذا صابر لكن ليس صبراً جميلاً، الصبر الجميل يكون صبراً بلا شكوى، تشكو إلى الله، لا مانع إن أتاك إنسان مؤمن، أخ، تفضي له ما بداخلك، الإنسان يحتاج إلى ذلك، لكن أقصد أنه يشكو دائماً، الحال ضيقة، كلما جاء لعنده شخص مؤمن، غير مؤمن، يشكو له ضيق الحال، يقول لك: أنا صابر، ما هذا الصبر! هذا ليس صبراً جميلاً قال: **(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ) عسى!** فعل للرجاء، يرجو الله **(أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً)** هما اثنان يوسف وبنيامين، فلماذا لم يقل: عسى الله أن يأتيني بهما جميعاً وإنما قال: **(بِهِمْ)؟** لأن الثالث كبيرهم الذي قال: **(فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي)** صاروا ثلاثة، ويعقوب أب، أي من كان من أبنائه، سواء من كان محسناً أو لم يكن فهؤلاء أولاده، والإنسان لا يستغني عن أولاده، يعقوب نبي مرب، فقال: **(أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً)** أي يوسف، وبنيامين، وشمعون إن صحت الأسماء كما في التاريخ.

الله تعالى عليم حكيم بكل شيء:

(إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، هنا يصف الله عز وجل باسمين من أسمائه الحسنی وهما العليم والحكيم، وغالباً في القرآن الكريم ما يرتبط اسم العليم بالحكيم، جاء مثلاً:

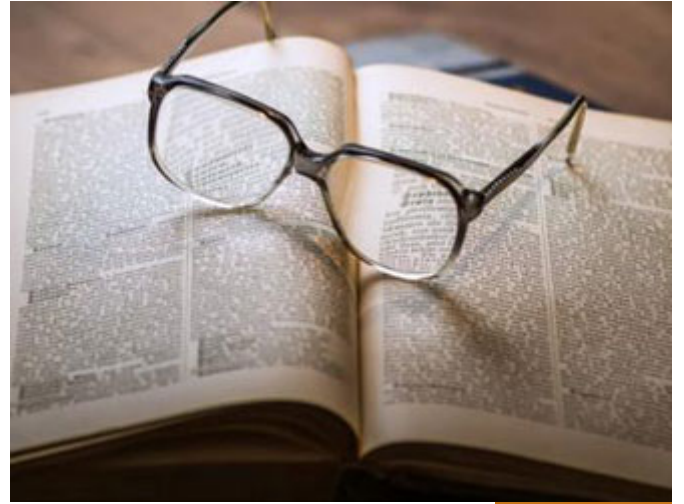
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ يُرْوِّجُهُمْ دُكْرَانًا وَإِنَّا نَجْعَلُ مَنْ نَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)

[سورة الشورى]

مرة واحدة، لكن معظم القرآن عليم حكيم، أو العليم الحكيم، لماذا يرتبط العلم بالحكمة؟ لأن العلم هو المعرفة بالشيء، بجميع جوانبه، والخبرة أعمق من العلم، الخبير يعلم بواطن الأمور، والعليم يعلم ظواهرها، والله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلِيمٌ حَبِيرٌ (34)

[سورة لقمان]



العلم يحتاج إلى حكمة

الحكيم يضع الشيء في موضعه، الآن الإنسان قد يعلم لكنه لا يتصرف بحكمة فليس العلم دائماً يؤدي إلى التصرف الحكيم، كم من إنسان علم مثلاً أن ابنه يرتكب محرماً أو يصاحب أصحاب السوء، لكنه لم يحسن التصرف مع ابنه بعد أن علم ما علم فأدى ذلك إلى أن يستمر الابن في غيه وضلاله، لأن الأب لم يكن حكيماً في معالجة المعلومات التي وصلته، فالعلم لا يكفي، العلم يحتاج إلى حكمة من أجل أن تتصرف بناء على المعلومات بالشكل الصحيح، في الوقت الصحيح، في الزمان الصحيح، في المكان الصحيح.

فالله تعالى عليم حكيم، يعلم الآن في هذه الآية ما الذي حصل، يعلم أين يوسف، ويعلم أين بنيامين، ويعلم أين الثالث شمعون، ويعلم ما الذي جرى تحديداً في القصة الأولى يوم **(وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)** والثانية يوم قالوا **(إِنَّ أَيْنِكَ سَتْرَقٌ)** كل ذلك يعلمه الله، وهو حكيم في الوقت الذي يفرج عني هذا الهم ويعيدهم إليّ، فأنا أسلم له الأمر، هو حكيم جل جلاله، الآن يعقوب عليه السلام في محنة، ومحنته شديدة ينتظر فرج الله عز وجل، لكن لا ينتظره بالوقت الذي يريده هو، وإنما في الوقت الذي يريده الحكيم جل جلاله **(إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْقَى عَلَى يُوسُفَ وَأُبْرِئُكُم مِّنَ الْخُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)

وتولى عنهم؛ أعرض عنهم، تركهم لأنهم فعلوا ما فعلوا، وأحياناً الخلوة بالله عز وجل أفضل من الاختلاط بالناس.

مكانة يوسف في قلب يعقوب لا تزيلها المصائب الجديدة:

(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْقَى عَلَى يُوسُفَ) كل المصائب التي جاءت بعد يوسف لم تنس يعقوب يوسف عليه السلام، هنا الحادثة الجديدة بنيامين، وشمعون (قَلْبَ أُنْزَحَ الْأَرْضِ) لم يرجع معهم، لكن يعقوب: (يَا أَسْقَى عَلَى يُوسُفَ) أي يوسف له مكانة في القلب لا تزيلها المصائب الجديدة، أحياناً الإنسان تتجدد عليه المصائب- نسأل الله السلامة- فينسى الجديد القديم، لكن عندما تكون المصيبة القديمة هي أساس المصائب فإنه لا ينسبه شيء إياها، وكما اليوم من حالات نسأل الله عز وجل أن يفرج عن المهمومين من أمهات وآباء فقدوا أولادهم، أو لا يعلمون عنهم شيئاً، مفقودون، يقولون لك: لا تعرف هل هو حي أو ميت، لا ينسبه شيء ذلك الفقد، لكن ربنا عز وجل ينزل من الصبر على قدر البلاء.

(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْقَى) يا؛ أداء نداء، أنا أريد أن أنادي محمداً أقول: يا محمد، هنا لماذا ينادي على الأسف؟ قال: من شدة الأسف والجزن على المصيبة كأن الإنسان يقول: يا همّ تعال فاحضر الآن، أي كأنه ينادي الهم ليأتي إليه لأن المصاب جلال فيستخدم أداة النداء مع الأسف فيقول: يا للمصيبة، يا لحزنه (يَا أَسْقَى).



الجزن الشديد من أسباب ابضااض العين

(وَقَالَ يَا أَسْقَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ) العين فيها بياض، وفيها سواد، المرأة الحوراء اختلط عندها سواد العين ببياضها، من جمال العين، عندما يبيض سواد العين، أي قد تكون مثل الماء الأبيض، اليوم يقال عنها: الماء اللبضاء، بعد التقدم بالعمر، واليوم يثبت العلم من أحد أسباب ابضااض العين هو الجزن الشديد، والبكاء المستمر، ربنا عز وجل من نعمه دموع العين، لأن دموع العين هي من تعقم العين، الدموع كأنك تعقم العين، هي فطرة معقمة للعين بشكل مستمر، والإنسان يفرز دموعاً بشكل دائم، وإلا لا تتعقم عينه، عندما يرمش يعقم العين كلها بالدموع، لكن عندما يحزن جعل الله تفرغاً للأسى بدمع العين، لكن عندما يكثر من الجزن، والأسف، والبكاء تبيض عينه من الجزن، اليوم يوجد علاج لها ومن كرامة الإنسان على الله تقدم الطب، اليوم عملية برقع ساعة وهو صاح بتخدير بسيط يسحبون العدسة المبيضة ويدخلون عدسة جديدة، حتى إنه يلغي النظارة، ويصبح نظره عشر على عشر، هذا من كرامة الإنسان على الله.

(وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) إداً لا مانع للإنسان أن يحزن، وأن تدمع عينه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ ما كان من العين والقلب فهو من الله، وما كان من اليد واللسان فهو من الشيطان }

[حديثه السيوطي]

القلب والعين رحمة، إذا تأثر قلبك فهذه رحمة، إذا دمت عينك ولو على فراق أخ أو حبيب فهذه رحمة، لأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عندما فقد ابنه، قيل له: أتبكي يا رسول الله؟ قال:

{ إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا }

[صححه الالباني]

أما اللسان عندما ينطق ويقول عند المصيبة: لماذا حصل ذلك معي وأنا يجب ألا أصاب بذلك؟ ولماذا اختار الله فلاناً ولم يأخذ فلاناً والعياد بالله؟ هذا من الشيطان، أو تحرك يده، لطم الخدود، وشق الجيوب كما كانت تفعل الناحات، نسأل الله السلامة، أما العين فحزنها محمود، ولا شيء فيه.

(وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) كظمت قرية الماء، كظمتها؛ أي أغلقتها بإحكام، فالإنسان عندما يصبح كظيماً كأنه قد امتلأ حزناً، وهذا الجزن في داخله لا مخرج له، لكن من رحمة الله أن الدموع مخرج من مخارج الجزن، الإنسان أحياناً يبكي فيستريح من عناء المصيبة التي ألمت به نسأل الله السلامة، ونطلب منه دائماً أن يبعد عنا المصائب، (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85)

[سورة يوسف]



الحرص، هو المشارف على الهلاك

(تَاللَّهِ) قسم، (تَفْتَأُ) أي ما تزال، أي تكرر (تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصًا) حرصاً؛ أي مشارفاً، المشارف على الهلاك، أي وصل لمرحلة قبل الهلاك بقليل (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) تموت من شدة حزنك على يوسف، والحقيقة أن هذا الرد لا ينبغي، إذا كان إنسان حزيناً ليس من الحكمة أن تقول له: ما هذا الموضوع؟ لا تتعاطف معه، تقول له: والله المصاب كبير، ولكنه تحقق، تخفف عنه بأن تقول له: تعال لنخرج، انزل للعمل، خفف عنه، لكن لا تهون عليه الحدث نفسه، لأن الحدث كبير بالنسبة له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)

[سورة يوسف]

إنما أداة حصر، أي لن (أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) البث؛ ألا تسمعون بالبث الإذاعي، والبث التلفزيوني، الانتشار، البث، بث؛ أي ينشر، فهذا الشيء البث الذي في داخله، الذي امتلأ به ولا يجوز أن يبثه للناس، لن يبثه للناس، وإنما سيبثه لخالقه، وسيشكو حزنه إلى خالقه (إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) هنا النبوة، البشرية مرت معنا، هنا النبوة، النبوة: (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) لأن هناك وحياً، يعقوب عليه السلام يعلم أن يوسف سيعود، الموضوع عنده محسوم بوعده من الله، في الوقت الذي يريد الله، وبرؤيا رآها يوسف ستتحقق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَفَعَ أَبْوَابِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

[سورة يوسف]

ويعقوب الآن لا يماري في عودة يوسف، لكنه حزين على الفراق، لكنه يعلم أن يوسف ما زال حياً، (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْتَئِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْتَئِسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)

[سورة يوسف]

يعقوب يعلم أن يوسف حيّ، والدليل قال لهم: **(اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا)** يوسف لم يأكله الذئب، تحسسوا من الحس، وجمع حس حواس، والحواس المشهورة خمس حواس، وهناك حواس أخرى يدرسونها اليوم، لكن المشهورة هي الحواس الخمسة، هي السمع، والنظر، والشم، والتذوق، واللمس، التحسس هو أن تعمل حواسك من أجل أن تصل إلى المعلومة، تشغل حواسك كلها، تسمع، ترى، تشم، أن تصل إلى المعلومة فتتحسس، يوجد تحسس وتحسس التحسس يكون فيه تنوع الأخبار السيئة فيقال: جاسوس، ومتجسس، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: 'إِبْتَاكُمُ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَتَافَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَجْفِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا - وبشير إلى صدره - يَحْسَبُ امْرَأٌ مِنَ النَّسْرِ أَنْ يَخْفِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِزُّهُ، وَمَالُهُ. إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }
[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك]

أي لا ينبغي لك أن تتبع الأخبار السيئة عن الناس ولا الأخبار الحسنة، هنا التحسس طبعاً بمعنى آخر، هنا تحسسوا أي ابحنوا بجميع حواسكم للوصول إلى المفقود وهذا مطلوب ولا حرج فيه، لكن تتجسس الناس أي تتبع أخبارهم، هل رفعا له راتبه؟ هل تحسنت أموره؟ هذا تجسس، التجسس وقع في مصيبة، انفصل من عمله، تجسس **(ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا)** هنا: **(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ)** لماذا لم يذكر الثالث هنا؟ الثالث غير مفقود، الثالث ينتظر الفرج حتى يعود، مكانه معروف فلا يحتاج إلى تحسس.

المؤمن بعيد عن اليأس:



لا ينقطع الأمل عند المؤمن لأن الله موجود

(مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْتَئِسُوا) اليأس انقطاع الأمل، اليأس انقطاع الأمل من الشيء، أنت تقول: يئست من هداية فلان، أي أنا أرى أنه لن يهتدي، يئست من هذه التجارة أرى أن هذه التجارة لن تحقق لي الربح، يئست من هذا العمل، إلى آخره، فاليأس هو انقطاع الأمل، المؤمن يئس؟ المفترض لا، لا يئس إلا من ضعف في إيمانه، لا أقول من عدم إيمان، لا، قد يكون مؤمناً لكن يضعف إيمانه فيأس، لكن إذا كانت فيه قوة إيمان إن اشتدت عليه الكروب والخطوب لا يئس، ما السبب؟ نحن عندنا أسباب، وعندنا مسبب الأسباب، فالمؤمن عندما تنقطع الأسباب الأرضية، مهما انقطعت الأسباب الأرضية لا ينقطع الأمل عنده لأن الله موجود، وهو مسبب الأسباب، أما البعيد عن الله، بالنسبة له كل شيء متعلق بالأسباب الأرضية، إذا قال الطبيب: لا يوجد علاج بيأس، إذا بحث عن زوجة مدة شهرين ولم يجد بيأس، إذا بحث عن عمل وذهب عاد، وذهب وعاد ولم يجد عملاً بيأس، لأنه مرتبط فقط بالأسباب الأرضية، والأسباب الأرضية انتهت بالنسبة له، يقول لك: أنا ما بقى باب إلا وطرقته، لم يبق باب لم أطرقه فأنا يئست، أما المؤمن فممازال عنده باب، وهذا الباب لا يراه الناس، وهذا باب الله، فلا يئس، وهذا معنى **(وَلَا تَبْتَئِسُوا)** لأنه مستحيل أن يئس المؤمن مهما تكاثرت الخطوب، هو يعلم أن هناك باباً يمكن أن يفتح بأي لحظة، والأعمق من ذلك يعلم أن الله عز وجل إن لم يفتح له هذا الباب فإنه لحكمة قد يجهلها، ولخير لا يعلمه، وينتظره عند الله شيء، فالأمل موجود، أي أنت مهما اشتدت الخطوب عليك عندك أمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْمَنُ وَعَدَّتَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لِأَقْبِيهِ كَمَنْ مَتَّعْتَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)

[سورة القصص]

فهو ينتظر موعود الله مهما انقطعت الأسباب من يديه في الدنيا فمسبب الأسباب موجود، والأمل موجود، والآخرة موجودة، فالأيس ليس موجوداً عند المؤمن بمعنى الأيس المطلق، هو ينزعج، يخاف لحد معين، أي يصل إلى مرحلة يكاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَوَدَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ تَصْرُتًا فَتَجَبَّىٰ مَن تَسَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

[سورة يوسف]

أي الأوضاع صارت صعبة جداً لا يئأس.

اقتران اليأس بالكفر:

(وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) عندنا رُوح، وعندنا رُوح ، الرُّوح بضم الراء تطلق على.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَسَّالُوتِكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

[سورة الإسراء]

الروح هذه القوة التي يضعها الله في الجسد فتحوله إلى نشاط وحركة، وذهاب وإياب، وإذا نزعها عاد كتلة لحم، وعظم هامدة لا حراك بها، من أمر الله، يلقي الروح وينزع الروح جل جلاله، ما هي؟ لا يعرف أحد كنهها، وحتى اليوم الكنه غير معروف، هناك شيء يسحب لا أحد يراه، يخرج ويبرد الجسم وتذهب الروح، هذه الروح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَرَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)

[سورة الشعراء]

جبريل عليه السلام، أما الرُّوح فشيء آخر، الرُّوح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجِنَّةٌ تَعِيمُ (89)

[سورة الواقعة]

الرُّوح من الرائحة، إذا كنا جالسين بمكان حار جداً، صيف حار جداً، ولا يوجد هواء نهائياً، وجاءته نسمة عليلية، عندما جاءت يقول لك: تنشطنا، وهذه الريح حركت الأزهار فانطلقت منها الرائحة الجميلة هذه هي الرُّوح.



نفحات الله تأتي بغير مقدمات

(إِنَّهُ لَا يَنْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) أي نفعة من نفحات الله تأتي بغير مقدمات فجأة وأنت في شدة صمتك وهمك تأتي روح الله بسكينة في قلبك، بفرح من عنده، بحالة لم تكن تتوقعها، يفاجئك الله بما لم يكن يخطر لك على بال، هذه روح الله.

(إِنَّهُ لَا يَنْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) قرن اليأس بالكفر والعباد بالله لأن اليأس من روح الله يقول لك: لم يعد هناك أمل، الأمة انتهت، جميعنا انتهينا، لن نقوم لنا قائمة، كأنه يكفر بالله، كأنه يقول: الله غير موجود، والله هو مسبب الأسباب، وهو الذي يفعلها في الوقت الذي يريد، ويعطلها في الوقت الذي يريد، (وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

والحمد لله رب العالمين

الدين الاسلامي